

آثار المعاصي في طمس المعرفة بالله ووجوب التوبة

..... كذلك أيضاً لا شك أن المعاصي لها آثار في طمس المعرفة فهم لما أنهم أشركوا وعظّموا هذه الآلهة التي اتخذوها مع الله، وكذلك أيضاً ألفوا السيئات، وانهمكوا في الذنوب وفي المعاصي كان ذلك من أكبر الأسباب الحائلة بينهم وبين التعقل لهذه الآيات ولهذه الدلالات، ولهذا الذين هداهم الله تعالى، وأقبلوا بقلوبهم، وقرأوا القرآن، واستمعوا له، وأنصتوا استدلووا به على أنه من الله تعالى، واستدلوا به على صدق من جاء به، واستدلوا أيضاً على وحدانية الرب الخالق سبحانه وعلى أنه المستحق للعبادة، وقد دل على ذلك كثرة الذين دخلوا في الإسلام عندما سمعوه، وفهموه. في هذه الأزمنة الكثير من الدول لا يفهمون القرآن وإذا قرعوه باللغة العربية لم يدروا ما معناه وقد عملت له تراجم ولكن تلك التراجم لا تعبر حقاً عن بلاغته، وقوة أساليبه، وإنما هي تراجم لمعانيه يفوت معها بلاغته وبيانه وإعجازه الذي أعجز الله به البشر الذين في عهده. ومع ذلك فإن الكثير منهم اهتموا بعد أن قرعوه ولو مترجماً. والذين تعلموا معانيه باللغة الفصيحة العربية كانوا أيضاً أسرع إلى تصديقه؛ حتى أن بعضهم لما عرف اللغة العربية وأخذ المصحف وقرأ أول آية في سورة البقرة وهي قوله تعالى: { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ } كلمة لا (رب فيه) تؤكد أنه حق وصدق، فكان سبب تقبله. أول آية تؤكد أنه لا رب يعني: لا شك فيه، ولا توقف بل إنه حق وصدق. فنقول: إن القرآن مليء بالآيات التي تدل على عظمة الخالق سبحانه، وعلى عظمة صفاته، وعلى وجوب تعظيمه سواءً بذكر أسمائه التي سمى بها نفسه وما يستدل بها عليه من صفاته، أو بذكر صفاته التي وصف بها نفسه، أو بذكر أفعاله التي أضافها إلى نفسه أنه يفعل ما يشاء، وبحكم ما يريد، وأنه الفعال لما يريد، وكذلك أيضاً بذكر ما قصه من القصص عن الأمم السابقة وما وقع بهم، وهكذا يتبع ذلك. فمن تعقل حقاً هذه النصوص فإنه: أولاً: يصدق بأنها من الله تعالى. ثانياً: يعرف عظمة الرب تعالى وجلاله وكبريائه ويعترف بذلك وبحمده، كما لو قرأ قول الله تعالى: { قُلِّلِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } واعتبر بذلك أي كونه له سطرين من هذا القرآن فيهما هذه العجائب والتعظيم. وثالثاً: يعظم قدر ربه في قلبه ويبقى معظماً لله تعالى ويخلص دعاءه وعبادته لله، ويتعد عن ما نهى الله عنه، ويحافظ على طاعته وعبادته. ورابعاً: يصدق بوعدده ووعيده، يصدق بأنه وعد من أطاعه بالجنة ومن عصاه بالنار، وأنهما حق؛ أن الجنة حق وأن النار حق، ثم بعد ذلك يجد ويجتهد في طلب الثواب وفي الهرب من العقاب، وبذلك يكون ممن عظم الله تعالى حق تعظيمه. والآن نواصل القراءة.